ثَـلَاثُـونَ أَلْـفَ دِيـنَـار

كَانَتْ سُهَيْلَةُ قَدْ حَمَلَتْ مِنْ زَوْجِهَاوهِيَ لَا تَدْرِي ، فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا شُهُورٌحَتَّى بَدَا عَلَيْهَا الحَمْلُ وَاضِحًا ، فَزَادَهَا أَلَـماً عَلَى أَلَمٍ أَنَّ زَوْجَهَا فَرُّوخاً قَدْ غَادَرَهَا إِلَى سَاحَاتِ الجِهَادِ وَفِي بَطْنِهَا جَنِينٌ ، وَلاَ تَعْلَمُ إِنْ كَانَ سَيُبْصِرُ النُّورَ وَيَرَى أَبَاهُ أَمْ أَنَّ سَاحَاتِ الجِهَادِ سَتَطْوِيه، وَكَانَ فَرُّوخٌ قَدْ وَضَعَ بَيْنَ يَدَي زَوْجَتِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينارٍ ، وَأْتَـمَنَهَا عَلَيْهِ إِلَى حِينِ عَوْدَتِهِ.

وَوَضَعَتْ سُهَيْلَةُ وَلِيدَهَا وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ... وَغَدااابْنُهَا "رَبِيعَةُ " طِفْلًا يَدْرُجُ ، فَصَرَفَتْ سُهَيلَةُ إِلَى تَرْبِيَتِهِ هَمَّهَا وَ رَضِيَتْ بِهِ نَصِيبًا مِنَ الحَيَاةِ.

وَكَبِرَ الصَّبِيُّ وَضَاقَ مَا كَانَ بِيَدِهَا مِنَ المَالِ ، فَـكَانَتْ تَصْبِرُ وَتَرْتَقِبُ ، لَا تَـمُدُّ يَدَهَا إِلَى الْكَنْزِ الَّذِي ائْتَمَنَهَا عَلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهَا شَيْءٌ. فَكَانَتْ تَصْبِرُ هِيَ وَابْنَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ تَبِيتُ عَلَى الطَّوَى؛ حَتَّى أَلْـجَأَهَا ضِيقُ الحَالِ أَنْ تُخْرِجَ أَمَانَةَ فَرُّوخٍ...

بَعْدَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةٍ ، شَاءَاللهُ لِفَرُّوخٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَدِينَةِ رَسُولِ الله حَيْثُ يَقْطِنُ أَهْلُهُ بِجِوَارِ خَيْرِ الْبَشَرِ ، وَيَدْخُلُ فَرُّوخُ المَدِينَةَ وَ يَسْتَهِلُّ دُخُولَـهُ قَاصِدًا مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ .

وَلَـمَّا صَلَّى فِي الرَّوْضَةِ ، وَسَلَّمَ عَلَى الرَّسُولِ ، تَلَفَّتَ فَإِذَا هُوَ بِحَلَقَةٍ عَظِيمَةٍ ، تَزْدَحِمُ فِيهَا الْعَمَائِمُ ، فَتَطَاوَلَ فَلَمْ يُبْصِرْ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَ لَمْ يَعْرِفْهُ فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ، فَسَمِعَ عَجَبًا لَمْ يَرَ فَرُّوخٌ الْمُدَرِّسَ الَّذِي أَسَرَ قَلْبَهُ بِكَلَامِهِ، وَ لَمْ يَعْرِفْهُ ، فَذَهَبَ يَسْأَلُ جَارَهُ قَائِلاً:

- مَنْ صَاحِبُ الحَلَقَةِ الَّتِي كَانَتْ هُنَا آنِفًا؟

فَحَدَّقَ فِيهِ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ:

- أَلاَ تَعْرِفُهُ !؟ أَلَا تَعْرِفُ رَبِيعَةَ الرَّأْيِ !؟ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟!

- قَالَ فَرُّوخٌ : غَرِيبٌ قَدِمَ السَّاعَةَ!؛ فَمَنْ رَبِيعَةُ الرَّأْيُ هَذَا!؟

- هَذَا، فَقِيهُ الْبَلَدِوَإِمَامُهُ. هَذَا شَيْخُ مَالِكٍ وَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَ شُعْبَـةَ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ...وَغَادَرَ فَرُّوخٌ الْمَسْجِدَ، وَلَمْ تَكُنْ دَارُهُ نَائِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ ؛ وَلَمَّا بَلَغَهَا بَعْدَ قَلِيلٍ ، نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَ رُمْـحُـهُ بِيَدِهِ ، وَرَآى قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ

امْرَأَتَـهُ سُهَيْلَةَ تُشَيِّعُ شَابًّا مُكْتَمِلَ الْفُتُوَّةِ ، ثُمَّ تَدْخُلُ وَتُغْلِقُ الْبَابَ ، فَهَاجَ دَمُـهُ فِي عُرُوقِـهِ، وِأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُزَمْجِرًا صَارِخًا ، فَنَحَاهُ عَنِ الْبَابِ وَهَمَّ بِدُخُولِ الْمَنْزِلِ ، فَعَجِبَ مِنْهُ الشَّابُّ وَ صَاحَ بِهِ:

- يَا عَدُوَّ الله ، أَتَهْجُمُ عَلَى مَنْزِلِي ؟

- قَالَ: بَلْ أَنْتَ عَدُوُّ الله ، تَدْخُلُ عَلَى زَوْجَتِي! وَكَثُرَ الضَّجِيجُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَ النَّاسُ مَالِكًا (مَالِكَ بْنِ أَنَسٍ) يَقْدُمُ نَحْوَهُمْ سَكَتُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ مَالِكٌ:

- أَيُّهَا االشَّيْخُ ، لَكَ سِعَةٌ فِي غَيْرِ هَذَا الدَّارِ!

قَالَ الشَّيْخُ : هِيَ دَارِي وَ أَنَا فَرُّوخ مَوْلَى بَنِي فُلاَنٍ.! فَسَمِعَت امْرَأَتُهُ كَلاَمَهُ ، فَخَرَجَتْ فَقَالَتْ : هَذَا زَوْجِي ، وَهَذَا ابْنِي الَّذِي خَلَّفْتَهُ وَأَنَا حَامِلٌ بِهِ، فَاعْتَنَقَا وَبَكَيَا جَمِيعًا، وَدَخَلَ فَرُّوخٌ الْمَنْزِلَ .

قَالَ فَرُّوخ لِزَوْجَتِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ رَبِيعَةُ وَبَقِيَا وَحِيدَيْنِ:

- هَذِهِ أَرْبَعَةُ آلاَفِ دِينَارٍ ، فَأَخْرِجِي الْمَالَ الَّذِي عِنْدَكَ ، لَقَدْ صِرْنَا أَغْنِياءً يَا سُهَيْلَةُ!

مَا لَكِ تَتَرَدَّدِينَ ؟ أَلَا تُـخْرِجِينَ الْمَالَ؟

- قَالَتْ : أَلَمْ تُصَلِّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله يَا فَرُّوخ ؟

قَالَ: بَلَى ، لَقَدْ صَلَّيْتُ فِيهِ ، وِرَأَيْتُ عَجَبًا ؛ سَمِعْتُ مِنْ رَجُلٍ يَدْعُونَهُ رَبِيعَةَ الرَّأْيِ كَلاَمًا ، مَاكُنْتُ أَظُنُّ أَحَدًا يَقُولُ مِثْلَهُ. لَكَأَنَّهُ وَالله كَلاَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، لَقَدْ نَدِمْتُ عَلِى أَنْ أَنْفَقْتُ حَيَاتِي وَلَمْ أَطْلُبْ عِلْمًا.

- قَالَتْ : أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ مِثْلُهُ تَـخْسَرُ كُلَّ مَا تَمْلِكُ؟

- قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ ذَلِكَ يَسُرُّنِي.

- قَالَتْ : فَإِنْ كَانَ ابْنُكَ مِثْلَهُ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ مَالَكَ كُلَّهُ؟

- قَالَ : نَعَمْ ، ذَلِكَ آثَـرُ عِنْدِي.

- قَالَتْ : هُوَ وَالله ابْنُكَ ، وَقَدْ أَنْفَقْتُ عَلَيْهِ الْمَالَ كُلَّهُ ، أَلَا تَشْتَرِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ؟

فَوَثَبَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَصِيحُ: ابْنِي ! رَبِيعَةُ الرَّأْيُ اِبْنِي!

وَخَرَجَ يُفَتِّشُ عَنِ ابْنِهِ كَالْـمَجْنُون !!!...